المباحث العقدية
المتعلقة بصلة الرحم

دكتورة/ ابتسام بنت ناصر بن عبد العزيز اللهيم
أستاذ مساعد بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسولهﷺ.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢]، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[النساء: ١]،{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إنّ من نعم الله على الخلق أن بعث رسوله محمداﷺ بالوحيين، وأمره بتبليغ هذا الدين والدعوة إليه، فكان أفصح الناس وأبلغهم، وما فارق الحياة وانتقل إلى الرفيق الأعلى إلا وقد أتم الله به الرسالة وأكمل الملة كما قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣]. فبلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين.

وإن مما دعت إليه نصوص الكتاب والسنة وأكدت عليه أعظم تأكيد ورغبت فيه وأعلت منزلته ومكانته في الدنيا والآخرة صلة الرحم، وهذه النصوص حوت العديد من المباحث والمسائل العلمية: عقدية، وتشريعية، وفقهية، وأخلاقية ....، وفي هذا البحث رغبت أن أتناول ما يتعلق بالجانب العقدي في دراسة مستقلة، وجعلته تحت اسم : (المباحث العقدية المتعلقة بصلة الرحم).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١) أهمية استنباط مسائل الاعتقاد من نصوص الكتاب والسنة، خاصة ما يتعلق منها بالمسائل الأخلاق الاجتماعية، وفي ذلك إبراز لعناية العقيدة الإسلامية بالقضايا الاجتماعية.

٢) ارتباط البحث بأمر بالغ الأهمية وهو صلة الرحم.

٣) المساهمة في إبراز المسائل العقدية على مذهب أهل السنة والجماعة.

٤) عدم وقوفي على دراسة علمية درست هذا الموضوع دراسة عقدية.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى دراسة المباحث العقدية المتعلقة بالنصوص الواردة في صلة الرحم على مذهب أهل السنة والجماعة.

حدود البحث:

اقتصر البحث على جمع النصوص من القرآن الكريم وما ثبت في السنة النبوية والتي تناولت موضوع صلة الرحم، واستنباط ما حوته من مباحث عقدية على مذهب أهل السنة والجماعة.

منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي والمنهج الاستنباطي، وذلك بالقيام بجمع الأدلة –من القرآن والسنة الثابتة عن النبي ﷺ دون غيرها من الأدلة الضعيفة أو الموضوعة وما لا أصل لها – مما لها تعلق بالموضوع وتحليلها، ثم القيام باستنباط ما له تعلق بالموضوع من الناحية العقدية.

كما أني اتبعت إجراءات البحث المتبعة في البحوث العلمية وهي:

١- كتابة الآيات بالرسم العثماني وعزوها لسورها وذكر رقم الآية.

٢- تخريج الأحاديث وبيان حكم الأئمة عليها إن كانت خارج الصحيحين.

٣- توثيق النقول والأقوال من مصادرها الأصيلة.
٤- التعريف بالكلمات الغريبة والمصطلحات التي تحتاج إلى تعريف.
٥- ذكر سنة وفاة كل علم بالمتن بين قوسين عدا الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- والصحابة -رضي الله عنهم-، مقتصرة في الأعلام على ما ورد بسياق كلامي وليس ما كان ضمن كلام أحد من العلماء.
٦- وضع فهرس للمصادر والمراجع مرتبا حسب حروف المعجم.

الدراسات السابقة:

لم أقف على بحث قام بدراسة الموضوع دراسة عقدية، عدا المصنفات في صلة الرحم والمصادر الحديثية التي ذكرت أحاديث المسألة تحت أبواب متفرقة وأشارت إلى بعض فقهها كالكتب الستة وعموم مصادر السنة. وعلى هذا فالموضوع بحاجة إلى دراسة تتناول جوانبه العقدية في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة.

خطة البحث:

اشتمل البحث على: مقدمة، وتمهيد وثلاثة عشر مبحثا، وخاتمة، وثبت المصادر والمراجع.

المقدمة، وتشمل: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، وحدود البحث، ومنهج البحث وإجراءاته، والدراسات السابقة، وخطة البحث.

التمهيد وفيه: التعريف بصلة الرحم وبيان فضل ذلك وفوائدها ومنزلتها.

المبحث الأول: أنَّ الرَّحم مخلوقة لله.

المبحث الثاني: إثبات العرش.

المبحث الثالث: صفة الكلام والقول والحديث لله عزوجل.

المبحث الرابع: اشتقاق صفات الله وأفعاله من أسمائه الحسنى.

المبحث الخامس: صفة اللعن.

المبحث السادس: صفتي الوصل والقطع.

المبحث السابع: صفة الفراغ من الشيء (بمعنى إتمامه والانتهاء منه).

المبحث الثامن: صفتي الحب والبغض.

المبحث التاسع: صفتي الحجْزَة وَالحَقْو.

المبحث العاشر: صفة المعية.

المبحث الحادي عشر: الزيادة في العمر والسعة والبركة في الرزق.

المبحث الثاني عشر: أن الأعمال الصالحة سبب لدخول الجنة والعكس.

المبحث الثالث عشر: تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر.

الخاتمة.

ثبت المصادر والمراجع.

هذا وأسأل الله التوفيق والسداد

التمهيد

التعريف بصلة الرحم وبيان فضل ذلك وفوائدها ومنزلتها.

أولاً: التعريف بصلة الرحم.

الصلة لغة واصطلاحاً:

الصلة لغة: مصدر مأخوذ من وصل يصِل، قال ابن فارس(ت٣٩٥هـ): "الواو والصاد واللام: أصل واحد يدل على ضم شيء إلى شيء حتى يعلقه. ووصلته به وصلا. والوصل: ضد الهجران."[١]، "يقال: وصل فلان رحمه يصلها صلة. وبينهما صلة أي اتصال وذريعة"[٢].

واصطلاحاً: عُرِّفت بأنها: " البر على غير جهة التعويض"[٣].

كما عرفت بأنها: "الاتصال، والوصل، والقرابة، والهدية، والعطية"[٤].

وهذه المعاني هي المقصودة هنا.

أما عند النحاة فتعرف الصلة بأنها:"الجملة الخبرية التي تقع بعد الموصول المشتملة على ضمير عائد إليه"[٥].

الرحم لغة واصطلاحاً:

الرَّحِمُ لغة: قال ابن فارس: " الراء والحاء والميم أصل واحد يدل على الرقة والعطف والرأفة. يقال من ذلك رحمه يرحمه، إذا رق له وتعطف عليه. والرحم: علاقة القرابة، ثم سميت رحم الأنثى رحما من هذا، لأن منها ما يكون ما يرحم ويرق له من ولد"[٦].

والرَّحِمُ: موضع تكوين الولد ووعاؤه في البطن، والرَّحِمُ: القرابة،والرَّحِمُ: أسباب القرابة،وبينهما رَحِمٌ أي: قرابة قريبة، فذوو الرَّحِمِ هم الأقارِبُ، ويقعُ على كُلِّ مَن يجمع بينك وبينه نسبٌ[٧].

فالرحم تطلق لغة على موضع تكوين الجنين، وبمعنى الصلةِ والقرابةِ.

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١١٥/٦).

(٢) لسان العرب لابن فارس (١١/ ٧٢٧).

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (ص٢١٨).

(٤) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (٢/ ١٠٩٣).

(٥) دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون (١٨١/٢).

(٦) معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/ ٤٩٨).

(٧) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٣٤/٥)، لسان العرب لابن منظور (٢٣٣/١٢)، المصباح المنير للفيومي (٢٢٣/١)، تاج العروس للزَّبيدي (٢٢٩/٣٢).

واصطلاحاً: عرفت بأنها: "اسم جامع لكلّ ذي رحمٍ من الأقارب يجمع بينهم نَسب، من غير تفريق بين محْرمٍ أو غير مَحْرَم"(١).

والرَّحم: نوعان: رحم مَحْرَم، ورَحم غيرُ محرم.

فالرحم المَحْرَم: كل شخصين بينهما رابطة، لو فرض أحدهما ذكرًا والآخر أنثى، لم يحلَّ لهما أن يتناكحا، كالآباء والأمهات، والإخوة والأخوات، والأجدادِ والجدَّاتِ وإن علوا، والأولاد وأولادهم وإن نزلوا، والأعمامِ والعمَّاتِ والأخوالِ والخالاتِ.

وأما الرَّحمُ غير المحرَّم: فهم من عدا ذلك كبناتِ الأعمامِ وبناتِ العمَّاتِ، وبناتِ الأخوالِ، ونحوهم(٢).

أما معنى صلة الرحم:

فقال النووي رحمه الله(ت٦٧٦هـ): "هي الإحسان إلى الأقارب على حَسَب حال الواصل والموصول، فتارة تكون بالمال، وتارة بالخدمة، وتارة بالزيارة والسلام وغير ذلك"(٣).

وقال المناوي رحمه الله(ت١٠٣١هـ): "صلة الرحم: مشاركة ذوي القرابة في الخيرات"(٤).

وقال السَفاريني رحمه الله(ت١١٨٨هـ) نقلا عن البَلْبَاني رحمه الله (ت١٠٨٣هـ) ما نصُّه: "المراد بصلة الرحم: موالاتهم ومحبتهم أكثر من غيرهم لأجل قرابتهم، وتأكيد المبادرة إلى صلحهم عند عداواتهم، والاجتهاد في إيصالهم كفايتهم بطيب نفس عند فَقْرهم، والإسراعُ إلى مساعدتهم ومعاونتهم عند حاجتهم، ومراعاة جبر خاطرهم مع التعطُّف والتَّلطُّف بهم، وتقديمهم في إجابة دعواتهم، والتواضع معهم في غناهُ وفقرهم، وقوَّتِه وضَعفهم، ومداومة مودَّتهم ونصحهم في كل شؤونهم، والبداءة بهم في الدعوة والضيافة قبل غيرهم، وإيثارهم في الصدقة والهديةُ والإحسان على من سواهم"(٥).

وقال ابن الأثير رحمه الله(ت٦٠٦هـ):"تكرر في الحديث ذكر صلة الرحم: وهي كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب، والأصهار، والتعطف عليهم، والرفق بهم،

---

(١) أحكام صلة الأرحام (ص).

(٢) انظر: الفتاوى الهندية (٨/٢)، الفروق للقرافي (١٤٧/١).

(٣) شرح صحيح مسلم (٢٠١/٢).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف (ص٢١٨).

(٥) غذاء الألباب (٢٧٣/١).

والرعاية لأحوالهم، وكذلك إن بَعُدُوا أو أساءوا، وقطعُ الرحم ضِدُّ ذلك كله، يقال: وَصَلَ رَحِمَهُ يَصِلُهَا وَصْلًا وَصِلَةً، والهاء فيها عوض من الواو المحذوفة، فكأنه بالإحسان إليهم قد وصل ما بينه وبينهم: من عَلاقة القرابة والصِّهرِ"[1].

ثانياً: فضل صلة الرحم وفوائدها ومنزلتها.

لصلة الرحم في الإسلام فضيلة عظيمة ومنزلة رفيعة وفوائد جسيمة وعديدة، نطقت بها نصوص الكتاب والسنة، ومن ذلك ما يلي:

١- صلة الرحم سبب لصلة الله للواصل.

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((إنَّ الله - تعالى - خلق الخلْق حتى إذا فرغ منهم قامت الرَّحِم فقالت: هذا مَقام العائذ بك من القَطيعة، قال: نعم، أمَا ترضين أنْ أصل مَن وصلك، وأقطع مَن قطعك، قالت: بلى، قال: فذاك لك))[2].

٢- صلة الرحم سبب لدخول الجنة.

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عمل يدخله الجنة ويباعده من النار، فقال صلى الله عليه وسلم : ((تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم))[3].

وعن عبدالله بن سلام رضي الله عنه قال: قال صلى الله عليه وسلم:((يا أيها الناس أفشوا السلام،وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام؛ تدخلوا الجنة بسلام))[4].

٣- صلة الرحم امتثال لأمر الله تعالى.

قال تعالى: {وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ} [الرعد: ٢١] .

قال الإمام الطبري رحمه الله(ت٣١٠هـ) عند تفسير هذه الآية: "يقول تعالى ذكره: والذين يصلون الرحم التي أمرهم الله بوصلها فلا يقطعونها (ويخشون ربهم)، يقول: ويخافون الله في قطعها أن يقطعوها، فيعاقبهم على قطعها وعلى خلافهم أمره فيها"[5].

---

(١) النهاية في غريب الحديث (١٩١/٥ - ١٩٢).

(٢) رواه مسلم (٢٥٥٤).

(٣) رواه البخاري (١٣٩٦) ومسلم (١٣).

(٤) رواه الترمذي (٢٤٨٥) وابن ماجة (٣٢٥١). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٦٩) .

(٥) تفسير الطبري (١٦/ ٤٢٠).

٤- صلة الرحم تدل على الإيمان بالله واليوم الآخر.

عن أبي هريرةﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه))[١].

٥- صلة الرحم من أحب الأعمال إلى الله.

سأل رجل من خثعم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: الإيمان بالله، قال: ثم مه[٢] ؟ قال: ثم صلة الرحم، قال: ثم مه ؟ قال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال: قلت يا رسول الله أي الأعمال أبغض إلى الله ؟ قال : الإشراك بالله ، قال: قلت يا رسول الله ثم مه؟ قال: ثم قطيعة الرحم، قال: قلت يا رسول الله ثم مه ؟ قال : الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف))[٣].

٦- صلة الرحم تنفيذ لوصية النبي صلى الله عليه وسلم.

عن أبي ذرﷺ أنه قال: ((أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم أن لا تأخذني في الله لومة لائم ، وأن أنظر إلى من هو أسفل مني ، ولا أنظر إلى من هو فوقي ، وأوصاني بحب المساكين والدنو منهم ، وأوصاني بقول الحق وإن كان مرا ، وأوصاني بصلة الرحم وإن أدبرت، وأوصاني أن لا أسأل الناس شيئا ، وأوصاني أن أستكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم؛ فإنها من كنوز الجنة))[٤].

وجاء في قصة أبي سفيان رضي الله عنه مع هرقل(ت٦٤١م):أن أبا سفيان أجاب هرقل حينما سأله ماذا يأمركم ؟ قال: قلت:يقول: ((اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة))[٥].

٧- الرحم تشهد للواصل بالوصل يوم القيامة.

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((وكل رحم آتية يوم القيامة أمام صاحبها تشهد له بصلة إن كان وصلها، وعليه بقطيعة إن كان قطعها))[١].

---

(١) رواه البخاري (٦١٣٨).

(٢) أي: ماذا، للاستفهام، فأبدل الألف هاء، للوقف والسكت. النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٣٧٧).

(٣) رواه أبو يعلى (٦٨٣٩). قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥١/٨): " رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح غير نافع بن خالد الطاحي وهو ثقة". وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٦١).

(٤) رواه الطبراني في المعجم الصغير (٧٥٨). قال الذهبي في المهذب في اختصار السنن الكبير (٨/ ٤٠٧٢): إسناده صالح ولم يخرجوه. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٤/٨): ورجال الطبراني رجال الصحيح غير سلام بن المنذر وهو ثقة.

(٥) رواه البخاري (٧) ومسلم (١٧٧٣).

٨- صلة الرحم سبب لزيادة العمر وبسط الرزق.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه))[٢].

وستأتي أحاديث أخرى – في المبحث الحادي عشر – تدل على هذا الفضل أيضاً.

٩- صلة الرحم تعجل الثواب وقطيعتها تعجل العقاب.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ليس شيء أُطِيع الله فيه أعجل ثواباً من صلة الرحم، وليس شيء أعجل عقاباً من البغي وقطيعة الرحم))[٣].

١٠- صلة الرحم تدفع ميتة السوء.

عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من سره أن يمد له في عمره، ويوسع له في رزقه، ويدفع عنه ميتة السوء؛ فليتق الله، وليصل رحمه))[٤].

١١- صلة الرحم تثمر الأموال وتعمر الديار.

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: ((صلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار))[٥].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن الله ليعمّر بالقوم الديار ويثمر لهم الأموال وما نظر إليهم منذ خلقهم بغضاً لهم، قيل: وكيف ذلك يا رسول الله؟ قال: بصلتهم لأرحامهم))[٦].

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (٧٣) قال الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧٧): "على شرط البخاري في صحيحه، ولكنه موقوف، بيد أن من رفعه ثقة حجة وهو الإمام الطيالسي، وزيادة الثقة مقبولة".

(٢) رواه البخاري(٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧).

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٩٨٧٠). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٩١).

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند (١٢١٣) والحاكم في المستدرك (٧٢٨٠)، والضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (١٥٨/٢) وقال الضياء المقدسي: إسناده صحيح. وقال محققو المسند: إسناده قوي. وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (١٢١٢).

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند (٢٥٢٥٩)، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢٠/١٣): بسند رجاله ثقات وقال محققو المسند: إسناده صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم(٥١٩). ورُوي موقوفا على عائشة رضي الله عنها عند أحمد بالمسند(٢٤٠٩٨).وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (ج ٢ / ص ٣٣٦- ٢٥٢٤).

(٦) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢٥٥٦) والحاكم في المستدرك (٧٢٨٢). وقال الحافظ المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٣٦) والهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ١٥٢): رواه الطبراني وإسناده حسن.

١٢- صلة الرحم سبب لمحبة الأهل للواصل:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن صلة الرحم محبة في الأهل، مثراة[١] في المال، منسأة في الأثر[٢]))[٣].

١٣- أن قاطع الرحم لا يدخل الجنة.

عن جبير بن مطعم ﷺأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لا يدخل الجنة قاطع رحم))[٤].

١٤- أن قاطع الرحم لا يقبل عمله.

عن أبي هريرةﷺ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن أعمال بني آدم تعرض كل خميس ليلة الجمعة، فلا يقبل عمل قاطع رحم))[٥].

هذه جملة من النصوص الشرعية تدل على فضل صلة الرحم وفوائدها في الدنيا والآخرة وعلو منزلتها عند الله، وهذا النصوص حوت العديد من المسائل العقدية، وفي المباحث التالية بيان ذلك.

(١) مثراة- مفعلة- من الثراء: أي الكثرة. النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٢١٠).

(٢) قال الترمذي: "ومعنى قوله: ((منسأة في الأثر)) يعني زيادة في العمر". سنن الترمذي (٤/ ٣٥١).

(٣) رواه الترمذي (١٩٧٩). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٦٥).

(٤) رواه البخاري (٥٩٨٤) ومسلم واللفظ له (٢٥٥٦).

(٥) رواه الإمام أحمد في المسند (١٠٢٧٢). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٤/٨): رواه أحمد، ورجاله ثقات. وقال محققو المسند: إسناده حسن.

المبحث الأول: أنَّ الرَّحم مخلوقة لله.

كل ما سوى الله مخلوق لله تعالى، قال تعالى: {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ} [الرعد: ١٦]، وقال تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ } [الأعراف: ٥٤].

والرحم مخلوقة لله كما جاء في حديث عبدالرحمن بن عوف – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – يقول: ((قال الله: أنا الله، وأنا الرحمن، خلقت الرحم وشققت لها من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بتته))[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: ((إنَّ الله – تعالى – خلق الخلْق حتى إذا فرغ منهم قامت الرَّحِم فقالت: هذا مَقام العائذ بك من القَطِيعة، قال: نعم، أمَا ترضين أنْ أصل مَن وصلك، وأقطع مَن قطعك، قالت: بلى، قال: فذاك لك))[٢].

فقد دلت هذه النصوص وغيرها على أن الرحم خلق من خلق الله، فيجب الإيمان بما دلت عليه نصوص القرآن والسنة دون الخوض في تكييف ذلك أو معارضته بالعقول والأهواء.

المبحث الثاني: إثبات العرش.

يؤمن أهل السنة والجماعة "بأن الله عز وجل خلق العرشَ، واختصَّه بالعلو والارتفاع فوقَ جميع ما خلَق، ثم استوى عليه كيف شاء، كما أخبر عن نفسه"[٣]، وهذه المسألة لم يختلف فيها أهلُ السنة والجماعة قاطبة.يقول ابن بطه رحمه الله(ت٣٨٧هـ): "وأجمع المسلمون من الصحابة والتابعين وجميع أهل العلم من المؤمنين أن الله تبارك وتعالى على عرشه، فوق سماواته، بائنٌ من خلقه، وعلمُه محيط بجميع خلقه، لا يأبى ذلك ولا ينكره إلا من انتحل

---

(١) رواه الترمذي (١٩٠٧). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣١٤).

(٢) رواه مسلم (٢٥٥٤).

(٣) أصول السنة لابن أبي زمنين (ص ٨٨).

مذاهب الحلوليَّة، وهم قومٌ زاغت قلوبهم، واستهوتهم الشياطين فمرقوا من الدين"(١).

فأهلُ السنة والجماعة يؤمنون بعرش الرحمن، وأنه مخلوقٌ عظيم كريم مجيدٌ؛ قد تمدَّح الله تعالى بربوبتيه له؛ فقال سبحانه: {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} [التوبة: ١٢٩]، وقال سبحانه: {رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ} [المؤمنون: ١١٦]، وقال عز وجل: {ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ} [البروج: ١٥]، بجرِّ {الْمَجِيدِ} صفة للعرش، وهي قراءة حمزة(ت١٥٦هـ) والكسائي(ت١٨٩هـ)(٢).

ومعنى العرش في تلك الآيات وغيرها: السرير؛ يقول أبو جعفر الطبري عند تفسير قوله تعالى: {وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ} [الزمر ٧٥]: "يعني بالعرش: السرير"(٣).

ويقول البيهقي(ت٤٥٨هـ): "وأقاويل أهل التفسير على أن العرشَ هو السرير، وأنه جسمٌ مجسَّم، خلقه الله تعالى وأمر ملائكته بحملِه، وتعبَّدهم بتعظيمه والطَّواف به، كما خلق في الأرض بيتًا وأمر بني آدم بالطواف به، واستقباله في الصلاة، وفي أكثر هذه الآيات دلالة على صحَّة ما ذهبوا إليه، وفي الأخبار والآثار الواردة في معناه دليل على صحة ذلك"(٤).

وقد أخبرنا الله سبحانه أنَّ عرشه كان على الماء قبل أن يخلقَ السموات والأرض؛ قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ} [هود: ٧].

---

(١) الإبانة الكبرى (٧/ ١٣٦).وينقسم الحلول إلى قسمين :

حلول عام : هو اعتقاد أن الله تعالى قد حلَّ في كل شيء .

ولكن ذلك الحلول من قبيل حلول اللاهوت – أي : الإله الخالق – بالناسوت – أي : المخلوق – مع وجود التباين ، بمعنى : أنه ليس متحدًا بمن حلَّ فيه ، بل هو في كل مكان مع الانفصال ، فهو إثبات لوجودين .

وهذا قول الجهمية ومن شاكلهم .

وحلول خاص : وهو اعتقاد أن الله – جل وعلا – قد حلَّ في بعض مخلوقاته مثل قول النصارى في عيسى والنصيرية في علي رضي الله عنه وغيرهم.ينظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية(١/٢٩٢) و مجموع الفتاوى (١٥/٤٢٤).

(٢) السبعة في القراءات لابن مجاهد (ص: ٦٧٨).

(٣) تفسير الطبري (٢١/ ٣٤٣).

(٤) الأسماء والصفات (٢/ ٢٧٢).

وأخبرنا سبحانه أن للعرش حملةً من الملائكة؛ فقال تعالى: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ} [غافر: ٧]، وقال سبحانه: {وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ} [الحاقة: ١٧].

كما أخبرنا نبيُّنا صلى الله عليه وسلم بأنَّ للعرش قوائم؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «لا تخيِّروا بين الأنبياءِ، فإنَّ الناسَ يُصعَقون يومَ القيامة، فأكون أوَّلَ من تنشقُّ عنه الأرض، فإذا أنا بموسى آخذٌ بقائمةٍ من قوائم العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق، أم حوسب بصعقة الأولى»[١].

كما أعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن العرش سقفُ الجنة، وأعلى المخلوقات؛ فقال صلى الله عليه وسلم: «فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوسَ، فإنه أوسطُ الجنة وأعلى الجنة -أراه- فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة»[٢].

ومما قرره الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- أنَّ العرش فوق السموات؛ فقال -وقوله في هذا له حكم الرفع-: "بين سماء الدنيا والتي تليها مسيرةُ خمسمائة عام، وبين كل سماءين مسيرةُ خمسمائة عام، وبين السماء السابعة وبين الكرسي مسيرةُ خمسمائة عام، وبين الكرسي وبين الماء مسيرة خمسمائة عام، والعرش فوق الماء، والله تبارك وتعالى فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه"[٣].

فالواجب علينا هو الإيمان بذلك كلِّه، من غير تحديدٍ لكيفية العرش ومعرفة كنهه؛ إذ هو من الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه.

وأعظم ما يجب اعتقادُه في ذلك: ما أخبرنا الله سبحانه وتعالى من استوائه على العرش، وقد تكرَّر ذكر ذلك في سبع آيات من كتاب الله تعالى؛ فقال سبحانه: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [الأعراف: ٥٤]، وقال عز وجل: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [يونس: ٣]، وقال سبحانه: {اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [الرعد: ٢]، وقال تقدست أسماؤه: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: ٥]، وقال تعالى: {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ} [الفرقان:

---

(١) رواه البخاري (٢٤١٢)، ومسلم (٢٣٧٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٢٧٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٣٨-٤٣٩)، وابن خزيمة في التوحيد (٢/٨٨٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٢٩١)، وصححه الألباني في مختصر العلو (ص: ٢٤٥).

٥٩]، وقال سبحانه: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [السجدة: ٤]، وقال سبحانه: {هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [الحديد:٤].

وكل هذه الآيات جاءت بلفظ: {اسْتَوَى} المتعدِّي بحرف الجر {عَلَى} الذي يدلُّ صراحة على العلوِّ والارتفاع.وهذه الآياتُ من جملة الأدلَّة الدالة على إثبات صفة العلو لله تعالى على خلقِه عمومًا، كما تثبِت صفةَ العلوِّ على العرش خصوصًا.

كما دلَّ على هذا المعنى الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إنَّ رحمتي غَلبت غضبي»(١).

وتفسير الاستواء على العرش بهذا المعنى محلٌّ إجماع بين أهل العلم من السلف، يقول الإمام إسحاق ابن راهويه(ت٢٣٨هـ): "قال تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى}: إجماع أهل العلم أنه فوق العرش استوى، ويعلم كلَّ شيء في أسفل الأرض السابعة"(٢).

ومن الأدلة التي تثبت حقيقة العرش ووجوده،والواردة في هذا الباب – المسائل المتعلقة بصلة الرحم – حديث: عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله))(٣).

وحديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله : ((إن الرحم شجنة(٤) متمسكة بالعرش تكلم بلسان ذلق(٥): اللهم صل من وصلني، واقطع من قطعني...)) (٦).

---

(١) رواه البخاري (٣١٩٤)، ومسلم (٢٧٥١).

(٢) ينظر: العلو للعلي الغفار للذهبي (ص: ١٧٩).

(٣) رواه مسلم (٢٥٥٥).

(٤) أي قرابة مشتبكة كاشتباك العروق، شبهه بذلك مجازا واتساعا. وأصل الشجنة بالكسر والضم: شعبة في غصن من غصون الشجرة. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٤٤٧).

(٥) ذلق: أي فصيح بليغ. النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٦٥).

(٦) رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٤)، والبزار في مسنده (٦٤٩٥) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد واللفظ له (١٥١/٥) والمنذري في الترغيب والترهيب (٣٤٠/٣): رواه البزار وإسناده حسن. وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥٤).

المبحث الثالث: صفة الكلام والقول والحديث لله ﷻ.

يعتقد أهل السُّنَّة والجماعة أنَّ الله عزَّ وجلَّ يتكلم ويقول ويتحدث وينادي، وأنَّ كلامه بصوت وحرف، وأنَّ القرآن كلامه، مُنَزَّلٌ غير مخلوق، وكلام الله صفةٌ ذاتيةٌ فعليةٌ: ذاتيةٌ باعتبار أصله وفعليةٌ باعتبار آحاده[1].

قال تعالى:{وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء: ١٦٤]، وقال تعالى: {فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِي مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي الأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنْ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [القصص: ٣٠]، وقال تعالى: {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا} [الكهف: ١٠٩]، وقال تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنْ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ الله} [التوبة: ٦]. وقال تعالى: {وَمَنْ أَصْدَقُ مِنْ الله حَدِيثاً} [النساء: ٨٧].

وجاء في حديث احتجاج آدم وموسى وفيه: ((قال له آدم: يا موسى! اصطفاك الله بكلامه))[2]. وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: ((إنَّ الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة! فيقولون: لبيك ربنا وسعديك. فيقول: هل رضيتم؟...))[3]. وفي حديث آخر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً: ((يقول الله: يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك، فينادى بصوت: إنَّ الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار)) [4].

قال أبو الحسن الأشعري(٣٢٤هـ): "وأجمعوا على إثبات حياة الله عزَّ وجلَّ، لم يزل بها حيّاً...وكلاماً لم يزل به متكلماً..." [5].

وقال قَوَّام السُّنَّة الأصبهاني(٥٣٥هـ):"وخاطر أبو بكر رضي الله عنه -أي: راهن قوماً من أهل مكة- فقرأ عليهم القرآن، فقالوا: هذا من كلام صاحبك. فقال: ليس بكلامي ولا كلام صاحبي، ولكنه كلام الله تعالى، ولم ينكر عليه أحد من الصحابة، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه على المنبر: إنَّ هذا القرآن كلام الله.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٦/٥١٣-٥٤٥) (١٢/٣٠٤)، والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص٣٤).

(٢) رواه البخاري (٦٦١٤)، ومسلم (٢٦٥٢).

(٣) رواه البخاري (٧٥١٨)، ومسلم (٢٨٢٩).

(٤) رواه البخاري (٧٤٨٣).

(٥) رسالة إلى أهل الثغر (ص ٢١٤).

فهو إجماع الصحابة وإجماع التابعين بعدهم، مثل: سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والحسن، والشعبي، وغيرهم ممَّن يطول ذكرهم، أشاروا إلى أنَّ كلام الله هو المتلوُّ في المحاريب والمصاحف.

وذكر صالح بن أحمد بن حنبل، وحنبل؛ أنَّ أحمد رحمه الله؛ قال: جبريل سمعه من الله تعالى، والنبي صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل، والصحابة سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي قول أبي بكر رضي الله عنه: ليس بكلامي، ولا كلام صاحبي، إنما هو كلام الله تعالى: إثبات الحرف والصوت؛ لأنه إنما تلا عليهم القرآن بالحرف والصوت"(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية(ت٧٢٨هـ): "واستفاضت الآثار عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين ومن بعدهم من أئمة السُّنَّة؛ أنه سبحانه ينادي بصوت؛ نادى موسى، وينادي عباده يوم القيامة بصوت، ويتكلم بالوحي بصوت، ولم ينقل عن أحد من السلف أنه قال: إنَّ الله يتكلم بلا صوت أو بلا حرف، ولا أنَه أنكر أن يتكلم الله بصوت أو بحرف"(٢).

ومن الأدلة التي تثبت الكلام والقول والتحدث لله ﷻ، والواردة في هذا الباب – المسائل المتعلقة بصلة الرحم – حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:((إنَّ الله – تعالى – خلق الخلْق حتى إذا فرغ منهم قامت الرَّحِم فقالت: هذا مَقام العائذ بك من القَطِيعة، قال: نعم، أمَا ترضين أنْ أصل مَن وصلك، وأقطع مَن قطعك، قالت: بلى، قال: فذاك لك))(٣).

وعن عبدالرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((قال الله: أنا الرحمن وهي الرحم، شققت لها اسما من اسمي، من وصلها وصلته، ومن قطعها بتته))(٤).

المبحث الرابع: اشتقاق صفات الله وأفعاله من أسمائه الحسنى.

يعتقد أهل السنة والجماعة أن أسماء الله تعالى توقيفية، لا مجال للعقل فيها، بل يجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص؛ لذا فأسماء الله

(١)الحجة في بيان المحجة (١/٣٣١- ٣٣٢).

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/٣٠٤).

(٣) رواه مسلم (٢٥٥٤).

(٤) رواه أبو داود (١٦٩٤). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣١٤).

تعالى لا تشتق من صفاته ولا من أفعاله – ليس المراد الاشتقاق من جهة اللغة والدلالة الصرفية–،لأن تسمية الله ليست مسألة اجتهادية، لذا يحرم على المسلم أن يشتق من صفات الذات والأفعال أسماء لرب العزة والجلال، وإن صح معناها أو رأى فيها الكمال، فقد وصف الله عز وجل نفسه بكثير من صفات الأفعال كالإرادة والكلام والاستواء، والخسف والحشر والإفتاء، والنزول والإماتة والطي للسماء، وغير ذلك من الصفات الفعلية، فلا يجوز أن نشتق لله من هذه الصفات أسماء، فيحرم أن نسميه باسم المريد المتكلم المستوي الخاسف الحاشر المفتي النازل المميت...[1].

يقول ابن القيم(ت٧٥١هـ)– وهو يتكلم عن اسم الواجد–:"وأما الواجد في أسمائه سبحانه: فهو بمعنى ذو الوجد والغنى، وهو ضد الفاقد، وهو كالموسع ذي السعة، قال تعالى:{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} [الذاريات: ٤٧] أي ذوو سعة وقدرة وملك، كما قال تعالى:{وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ} [البقرة: ٢٣٦] ودخل في أسمائه سبحانه الواجد دون الموجد، فإن الموجد صفة فعل، وهو معطي الوجود، كالمحيي معطي الحياة وهذا الفعل لم يجئ إطلاقه في أفعال الله في الكتاب ولا في السنة، فلا يعرف إطلاق: أوجد الله كذا وكذا، وإنما الذي جاء خلقه وبرأه، وصوره وأعطاه خلقه ونحو ذلك، فلما لم يكن يستعمل فعله لم يجئ اسم الفاعل منه في أسمائه الحسنى، فإن الفعل أوسع من الاسم، ولهذا أطلق الله على نفسه أفعالا لم يتسم منها بأسماء الفاعل، كأراد، وشاء، وأحدث، ولم يسم بالمريد والشائي والمحدث، كما لم يسم نفسه بالصانع والفاعل والمتقن وغير ذلك من الأسماء التي أطلق على نفسه، فباب الأفعال أوسع من باب الأسماء.وقد أخطأ – أقبح خطأ – من اشتق له من كل فعل اسما، وبلغ بأسمائه زيادة على الألف، فسماه الماكر، والمخادع، والفاتن، والكائد ونحو ذلك"[2].

كما يعتقد أهل السنة والجماعة أن الأسماء الحسنى يشتق منها الصفات والأفعال، وذلك لأن كل اسم متضمن لصفة، ولأن من الصفات ما يتعلق بأفعال الله تعالى، وأفعاله لا منتهى لها، كما أن أقواله لا منتهى لها، قال الله تعالى: {وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ

---

(1) انظر: مدارج السالكين (٣٨٣/٣)، والقواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص١٦).

(2) مدارج السالكين (٣٨٣/٣).

أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [لقمان:٢٧].

ومن أمثلة ذلك: أن من صفات الله تعالى وأفعاله: المجيء، والإتيان، والأخذ والإمساك، والبطش، إلى غير ذلك من الصفات والأفعال التي لا تحصى كما قال تعالى: {وَجَاءَ رَبُّكَ} [الفجر:٢٢] وقال: {هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن يَأْتِيَهُمُ اللّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ} [البقرة:٢١٠] وقال: {فَأَخَذَهُمُ اللّهُ بِذُنُوبِهِمْ} [آل عمران:١١] وقال: {وَيُمْسِكُ السَّمَاء أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلا بِإِذْنِهِ} [الحج:٦٥] وقال: {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} [البروج:١٢] وقال: {يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة:١٨٥]. فنصف الله تعالى بهذه الصفات والأفعال على الوجه الوارد، ولا نسميه بها، فلا نقول: إن من أسمائه الجائي، والآتي، والآخذ، والممسك، والباطش، والمريد، والنازل، ونحو ذلك، وإن كنا نخبر بذلك عنه ونصفه به[1].

ومن الأدلة التي تثبت الاشتقاق من أسماء الله، والواردة في هذا الباب – المسائل المتعلقة بصلة الرحم – حديث عبدالرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((قال الله: أنا الرحمن وهي الرحم، شققت لها اسما من اسمي، من وصلها وصلته، ومن قطعها بتته))[2].

ومعنى قوله ﷺ: ((شققتُ لها اسمًا من اسمي)): "أي: أخرجت، وأخذت لها اسمًا من اسمي الرحمن، فلها به علقة"[3].

قال ابن القيم رحمه الله– بعد أن ساق الحديث–: "هذا صريح في أن اسم الرحمة مشتق من اسمه الرحمن تعالى، فدل على أن رحمته لما كانت هي الأصل في المعنى كانت هي الأصل في اللفظ، ومثل هذا قول حسان رضي الله عنه في النبي صلى الله عليه وسلم:

فشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

فإذا كانت أسماء الخلق المحمودة مشتقة من أسماء الله الحسنى كانت أسماؤه يقينا سابقة، فيجب أن تكون حقيقة"[4].

---

(1) انظر: القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى (ص٣٠).

(2) رواه أبو داود (١٦٩٤). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣١٤).

(3) الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية (ص٧١).

(4) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (ص٣٦٤).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله(ت٨٥٢هـ): "أي أخذ اسمها من هذا الاسم ... والمعنى أنها أثر من أثار الرحمة مشتبكة بها فالقاطع لها منقطع من رحمة الله. وقال الإسماعيلي: معنى الحديث أن الرحم اشتق اسمها من اسم الرحمن فلها به علقة. وليس معناه أنها من ذات الله، تعالى الله عن ذلك"[١].

المبحث الخامس: صفة اللعن.

قال تعالى: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ} [محمد:٢٢-٢٣]، قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية: "هؤلاء الذين يفعلون هذا، يعني: الذين يفسدون ويقطعون الأرحامَ الذين لعنهم الله، فأبعدهم من رحمته فأصمَّهم، بمعنى: فسلبهم فَهْمَ ما يسمعون بآذانهم من مواعظ الله تعالى في تنـزيله، {وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ}؛ بمعنى: وسلبهم عقولَهم، فلا يتبيَّنون حُجج الله سبحانه، ولا يتذكَّرون ما يرون من عِبَره وأدلَّته"[٢].

وقال ابن كثير(ت٧٧٤هـ): " {أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ} أي: تعودوا إلى ما كنتم فيه من الجاهلية الجهلاء، تسفكون الدماء وتقطعون الأرحام؛ ولهذا قال: {أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ} وهذا نهي عن الإفساد في الأرض عموما، وعن قطع الأرحام خصوصا، بل قد أمر الله تعالى بالإصلاح في الأرض وصلة الأرحام، وهو الإحسان إلى الأقارب في المقال والأفعال وبذل الأموال. وقد وردت الأحاديث الصحاح والحسان بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، من طرق عديدة، ووجوه كثيرة"[٣].

المبحث السادس: صفتي الوصل والقطع.

من الصفات التي ذكرت في أحاديث صلة الرحم صفتي: الوصل والقطع، وهما صفتان فعليتان ثابتتان بالسنة الصحيحة، تليقان بالله عزَّ وجلَّ. والوَصْلُ: ضد الهجران والقطع.

ومن الأحاديث الدالة على ذلك حديث عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله)) [٤].

---

(١) فتح الباري (١٠/٤١٨).

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ١٧٨).

(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ٣١٨).واللعن صفة فعلية ثابتة لله عز وجل،ينظر:العقيدة الواسطية لابن تيمية (١٠٨).

(٤) رواه مسلم (٢٥٥٥).

وحديث عبدالرحمن بن عوف رضي الله تعالى عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: ((قال الله: أنا الرحمن وهي الرحم، شققت لها اسما من اسمي، من وصلها وصلته، ومن قطعها بتته))(١).

قال الشيخ علي الشبل: "الوصل والقطع فعلان ثابتان لله سبحانه لائقان به من باب المجازاة والمقابلة لمن يستحقهما، وهما من الصفات الواجب إثباتهما له سبحانه كسائر الصفات، وليستا بمستحيلتين على الله في حقيقتيهما"(٢) .

المبحث السابع: صفة الفراغ من الشيء(بمعنى إتمامه والانتهاء منه).

من الصفات التي ذكرت في أحاديث صلة الرحم صفة الفراغ من الشيء،وهي صفة فعلية لله عزَّ وجلَّ ثابتة بالسنة الصحيحة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إنَّ الله – تعالى – خلق الخلْق حتى إذا فرغ منهم قامت الرَّحِم فقالت: هذا مَقام العائذ بك من القَطِيعة، قال: نعم، أمَا ترضين أنْ أصل مَن وصلك، وأقطع مَن قطعك، قالت: بلى، قال: فذاك لك))(٣).

كما وردت أحاديث أخرى تدل على هذه الصفة ومن ذلك؛ حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: ((حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً، ممن أراد الله أن يرحمه، ممن يشهد أن لا إله إلا الله))(٤).

قال الشيخ عبدالله الغنيمان: "قوله: ((حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد)) كل عمل له بداية ونهاية، ونهايته الفراغ منه، والمعنى: أن الله تعالى يتولى محاسبة عباده بنفسه وينتهي من ذلك، وهو – تعالى – أسرع الحاسبين، وجاء وصف الله – تعالى – بذلك في كثير من النصوص، وهو من أوصاف الفعل، وهي كثيرة"(٥).

المبحث الثامن: صفتي الحب والبغض.

صفتي الحب والبغض من الصفات الفِعْلِيَّة الثابتة لله عزَّ وجلَّ بالكتاب والسنة.

---

(١) رواه أبو داود (١٦٩٤). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٣١٤).

(٢) التنبيه على المخالفات العقدية في فتح الباري (ص٧٢). وقد قرأ هذا الكتاب وقرَّظه عددٌ من العلماء في مقدمتهم الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله.

(٣) رواه مسلم (٢٥٥٤).

(٤) رواه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).

(٥) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١٠٠/٢).وينظر:موقع الدرر السنية بالشبكة العنكبوتية.

قال تعالى: {وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الـمُحْسِنِينَ} [البقرة: ١٩٥] وقال تعالى: {فَسَوْفَ يَأْتِي اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَه} [المائدة: ٥٤] وفي حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: ((إنَّ الله يحب العبد التقي، الغني، الخفي))[١]. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: ((إن الله تعالى إذا أحب عبداً... وإذا أبغض عبداً؛ دعا جبريل، فيقول: إني أبغض فلاناً؛ فأبغضه، فيبغضه جبريل، ثم ينادي في أهل السماء...إنَّ الله يبغض فلاناً؛ فأبغضوه، فيبغضه أهل السماء، ثم توضع له البغضاء في الأرض))[٢]. وحديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((أحبُّ البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها))[٣].

يقول ابن القيم: "إن ما وصف الله سبحانه به نفسه من المحبة والرضا والفرح والغضب والبغض والسخط من أعظم صفات الكمال"[٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في صفة المحبة: "إنَّ الكتاب والسنة وإجماع المسلمين أثبتت محبة الله لعباده المؤمنين ومحبتهم له، كقوله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلَّهِ وقوله: يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} وقوله: {أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللهِ وَرَسُولِه}... وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات محبة الله تعالى لعباده المؤمنين ومحبتهم له وهذا أصل دين الخليل إمام الحنفاء عليه السلام"[٥].

ومن الأدلة الواردة في هذا الباب –المتعلقة بصلة الرحم – أن رجلاً من خثعم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: الإيمان بالله، قال: ثم مه ؟ قال: ثم صلة الرحم، قال: ثم مه ؟ قال : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال: قلت يا رسول الله أي الأعمال أبغض إلى الله ؟ قال : الإشراك بالله ، قال: قلت يا رسول الله ثم مه؟ قال: ثم قطيعة الرحم، قال: قلت يا رسول الله ثم مه ؟ قال : الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف))[٦].

---

(١) رواه مسلم (٢٩٦٥).

(٢) رواه مسلم (٢٦٣٧).

(٣) رواه مسلم (٦٧١).

(٤) مختصر الصواعق المرسلة (١٤٥١/٤).

(٥) مجموع الفتاوى (٢ / ٣٥٤).

(٦) تقدم تخريجه (ص٩).

فأهل السنة والجماعة يثبتون صفة الحب والمحبة لله عزَّ وجلَّ وصفة البغض، على ما يليق به، كما يثبتون لازم المحبة والبغض وأثرهما.

المبحث التاسع: صفتي الحجْزَة وَالحقْو.

من الصفات التي ذكرت في أحاديث صلة الرحم صفتي: الحجْزَة وَالحقْو، وهما صفتان ذاتيَّتان خبريَّتان ثابتتان بالسنة الصحيحة.

ومن ذلك قوله ﷺ: ((إنَّ الرحم شَجْنَةٌ آخذةٌ بحُجزة الرحمن؛ يصل من وصلها، ويقطع من قطعها))[1] .

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه– في بعض ألفاظه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:: ((خلق الله الخلق، فلما فرغ منه؛ قامت الرحم، فأخذت بحقو الرحمن، فقال: مه!قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة...))[2].

والحقو والحُجْزة: موضع عقد الإزار وشده[3].

قال الحافظ أبو موسى المديني(ت٥٨١هـ): "وفي الحديث: ((إنَّ الرحم أخذت بحجزة الرحمن)) – ثم ذكر تفسيرين للحديث– ثم قال: وإجراؤه على ظاهره أولى"[4].

وقال القاضي أبو يعلى(ت٤٥٨هـ): "اعلم أنه غير ممتنع حمل هذا الخبر على ظاهره، وأنَّ (الحقو) و(الحجزة) صفة ذات"[5].

وقال الشيخ عبد الله الغنيمان ناقلاً من نقض التأسيس لشيخ الإسلام، ومن إبطال التأويلات لأبي يعلى الفراء، ومعلقاً على ذلك: "قال شيخ الإسلام – رحمه الله – في رده على الرازي في زعمه أنَّ هذا الحديث –يعني: حديث أبي هريرة المتقدم– يجب

---

(1) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/٢١٨)، ومن طريقه ابن أبي عاصم في السنة (٥٣٧)، والطبراني في الكبير (٢٣/٤٠٤)، من حديث أم سلمة رضي الله عنها، وفي سنده موسى ابن عبيدة، قال فيه الحافظ: (ضعيف، ولاسيما في حديث عبدالله بن دينار)، وحديثه هنا ليس عن عبدالله ابن دينار.

ورواه أحمد (٢٩٥٦)، وابن أبي عاصم في السنة (٥٣٨)، والطبراني (١٠/٣٢٧)، وابن عدي (٥/٨٨)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، كلهم من طريق صالح مولى التوأمة. قال فيه ابن عدي في الكامل (٥/٨٨) (وهو في نفسه ورواياته لا بأس به إذا سمعوا منه قديما، والسماع القديم منه: سمع منه ابن أبي ذئب، وابن جُرَيج، وزياد بن سعد، وغيرهم). والراوي عنه هنا هو زياد بن سعد، وهو (ثقة ثبت). والحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع (١٦٢٩)، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٤/٣٤٤).

(2) رواه البخاري (٤٨٣٠).

(3) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/٣٤٤) (١/ ٤١٧)، لسان العرب (٥/ ٣٣٢)، تاج العروس (١٥/ ٩٤) (٣٧/ ٤٥٤).

(4) المجموع المغيث (١/٤٠٥).

(5) إبطال التأويلات (١/٤٢٠).

تأويله:قـــال: فيــقال له: بل هذا من الأخبار التي يقرها من يقر نظيره، والنِّزاع فيــه كالنِّزاع في نظيره؛ فدعواك أنه لابدَّ فيه من التأويل بلا حجة تخصه؛ لا تصح.

وقال: وهذا الحديث في الجملة من أحاديث الصفات، التي نص الأئمة على أنه يمر كما جاء، وردوا على من نفى موجبه، وما ذكره الخطابي وغيره أنَّ هذا الحديث مما يتأول بالاتفاق؛ فهذا بحسب علمه، حيث لم يبلغه فيه عن أحد من العلماء أنه جعله من أحاديث الصفات التي تمر كما جاءت.

قال ابن حامد: ومما يجب التصديق به: أنَّ لله حَقْواً.

قال المروزي: قرأت على أبي عبد الله كتاباً، فَمَرَّ فيه ذكر حديث أبي هريرة عن النبــي صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ الله خلق الرحم، حتى إذا فرغ منها؛ أخذت بحقو الرحمن)). فرفع المحدث رأسه، وقال: أخاف أنْ تكون كفرت. قال أبو عبد الله: هذا جهمي.

وقال أبو طالب: سمعت أبا عبد الله يسأل عن حديث هشام بن عمار؛ أنه قــرئ عليــه حديث الرحم: ((تجيء يوم القيامة فتعلق بالرحمن تعالى...))، فقال: أخاف أنْ تكون قد كفرت. فقال: هذا شامي؛ ما له ولهذا؟ قلت: فما تقول؟ قال: يمضي كل حديث على مــا جاء.

وقال القاضي أبو يعلى: اعلم أنه غير ممتنع حمل هذا الخبر على ظاهره، وأنَّ (الحقــو) و(الحجزة) صفة ذات، لا على وجه الجارحة والبعض، وأنَّ الرحم آخذة بها، لا علــى وجه الاتصال والمماسة، بل نطلق ذلك تسمية كما أطلقها الشرع، وقد ذكر شــيخنا أبــو عبد الله – رحمه الله – هذا الحديث في كتابه، وأخذ بظاهره، وهو ظاهر كلام أحمد.

قلت: قولــه: لا على وجه الجارحة والــبعض، وقولـــــه: لا علــى وجــه الاتــصال والمماسة؛ قول غير سديد، وهو من أقوال أهل البدع التي أفسدت عقــولَ كثيــر مــن الناس؛ فمثل هذا الكلام المجمل لا يجوز نفيه مطلقاً، ولا إثباته مطلقاً؛ لأنه يحتمل حقًّــا وباطلاً، فلابدَّ من التفصيل في ذلك، والإعراض عنه أولى؛ لأنَّ كلام رسول الله صـــلى الله عليه وسلم خال منه، وليس هو بحاجة إليه؛ فهو واضح، وليس ظاهر هذا الحــديث أنَّ لله إزاراً ورداءً من جنس الأزر والأردية التي يلبسها الناس، مما يصنع من الجلــود والكتان والقطن وغيره، بل هذا الحديث نص في نفي هذا المعنى الفاسد؛ فإنه لــو قيــل عن بعض العباد: إنَّ العظمة إزاره والكبرياء رداؤه؛ لكان إخباره بــذلك عــن العظمــة والكبرياء اللذين ليسا من جنس ما يُلْبَسُ من الثياب.

فإذا كان هذا المعنى الفاسد لا يظهر من وصف المخلوق؛ لأنَّ تركيب اللفظ يمنع ذلك، وبين المعنى المراد؛ فكيف يدعى أنَّ هذا المعنى ظاهر اللفظ في حق الله تعالى، فإنَّ كل من يفهم الخطاب ويعرف اللغة؛ يعلم أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم لم يخبر عن ربه بلبس الأكسية والثياب، ولا أحد ممن يفهم الخطاب يدعي في قوله صلى الله عليه وسلم في خالد بن الوليد: ((إنه سيف الله))؛ أنَّ خالداً حديد، ولا في قوله صلى الله عليه وسلم في الفرس: ((إنا وجدناه بحراً))؛ أنَّ ظاهره أنَّ الفرس ماء كثير ونحو ذلك"(١).

المبحث العاشر: صفة المعية.

يعتقد أهلُ السُّنَّة والجماعة بإثبات صفة المعية لله عز وجل، وأنه فوق سماواته، مستوٍ على عرشه، بائنٌ من خلقه، وهذه المَعِيَّةُ ثابتةٌ بالكتاب والسُّنَّة.

فمن ذلك قوله تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} [الحديد: ٤].وقوله: {وَلا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا} [المجادلة: ٧].وفي الحديث القدسي: ((أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني...))(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "فصل: وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر الله به في كتابه، وتواتر عن رسوله، وأجمع عليه سلف الأمة؛ من أنه سبحانه فوق سماواته على عرشه، عليٌّ على خلقه، وهو سبحانه معهم أينما كانوا، يعلم ما هم عاملون"، ثم بعد أن أورد بعض الآيات؛ قال: "وكل هذا الكلام الذي ذكره الله من أنه فوق العرش وأنه معنا حقٌّ على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة"(٣) .

"ومعية الله عز وجل تنقسم إلى قسمين: عامة، وخاصة.

والخاصة تنقسم إلى قسمين: مقيدة بشخص، ومقيدة بوصف.

أما العامة؛ فهي التي تشمل كل أحد من مؤمن وكافر وبر وفاجر. ودليلها قوله تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} [الحديد: ٤].

---

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٢/٣٨٣).

(٢) رواه البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

(٣) العقيدة الواسطية (ص ١٩٣).

وأما الخاصة المقيدة بوصف؛ فمثل قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} [النحل: ١٢٨].

وأما الخاصة المقيدة بشخص معين؛ فمثل قوله تعالى عن نبيه: {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} [التوبة ٤٠]، وقال لموسى وهارون: {إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى} [طه: ٤٦]. وهذه أخص من المقيدة بوصف.

فالمعية درجات: عامة مطلقة، وخاصة مقيدة بوصف، وخاصة مقيدة بشخص.

فأخص أنواع المعية ما قيد بشخص، ثم ما قيد بوصف، ثم ما كان عاماً.

فالمعية العامة تستلزم الإحاطة بالخلق علماً وقدرة وسمعاً وبصراً وسلطاناً وغير ذلك من معاني ربوبيته، والمعية الخاصة بنوعيها تستلزم مع ذلك النصر والتأييد"[١].

ومن الأدلة الواردة في هذا الباب – المتعلقة بصلة الرحم – قوله ﷺ فيمن شكى قطيعة رحمه له وصلته لهم: ((لئن كنت كما قلت فكأنما تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك))[٢].

قال النووي رحمه الله: "الْمَلَّ– بفتح الميم – الرماد الحار، وتسفهم بضم التاء وكسر السين وتشديد الفاء، والظهير: المعين والدافع لأذاهم...ومعناه: كأنما تطعمهم الرماد الحار وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم ولا شيء على هذا المحسن بل ينالهم الإثم العظيم في قطيعته وإدخالهم الأذى عليه. وقيل: معناه إنك بالإحسان إليهم تخزيهم وتحقرهم في أنفسهم لكثرة إحسانك وقبيح فعلهم من الخزي والحقارة عند أنفسهم كمن يسف المل. وقيل: ذلك الذي يأكلونه من إحسانك كالمل يحرق أحشاءهم والله أعلم"[٣].

المبحث الحادي عشر: الزيادة في العمر والسعة والبركة في الرزق.

وردت جملة من الأحاديث في أن صلة الرحم تزيد في العمر والرزق، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه))[٤].

---

(١) شرح العقيدة الواسطية، لابن عثيمين (١/٤٠١– ٤٠٢).

(٢) رواه مسلم (٢٥٥٨).

(٣) شرح صحيح مسلم (١٦/ ١١٥).

(٤) تقدم تخريجه (ص١٠).

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من سره أن يمد له في عمره، ويوسع له في رزقه، ويدفع عنه ميتة السوء؛ فليتق الله، وليصل رحمه))[1].

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها: ((صلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار))[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن الله ليعمّر بالقوم الديار، ويثمر لهم الأموال، وما نظر إليهم منذ خلقهم بغضاً لهم، قيل: وكيف ذلك يا رسول الله قال: بصلتهم لأرحامهم))[3].

وقد ذكر أهل العلم معنيين لذلك:

فقيل : إن معنى زيادة العمر وبسط الرزق؛ أن يبارك الله في عمر الإنسان ورزقه فيعمل في وقته ما لا يعمله غيره فيه.

وقيل: إن معنى زيادة العمر وبسط الرزق على حقيقتها فيزيد الله في عمره ويزيد في رزقه. ولا يشكل على هذا أن الأجل محدود والرزق مكتوب فكيف يزاد ؟ وذلك لأن الأجل والرزق على نوعين: أجل مطلق يعلمه الله وأجل مقيد، ورزق مطلق يعلمه الله ورزق مقيد، فالمطلق هو ما علمه الله أنه يؤجله إليه أو ما علمه الله أنه يرزقه؛ فهذا لا يتغير، والثاني يكون كتبه الله وأعلم به الملائكة؛ فهذا يزيد وينقص بحسب الأسباب[4].

المبحث الثاني عشر: أن الأعمال الصالحة سبب لدخول الجنة والعكس.

يعتقد أهل السنة والجماعة أنه لا يمكن أن ينال المرء الجنة بأعماله التي عملها، وإنما تنال برحمة الله وفضله، ورحمة الله وفضله لا تنال إلا بالإيمان والعمل الصالح، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ((لن يدخل أحد منكم عمله الجنة قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله منه بفضل ورحمة))[5]. ولا تعارض بين هذا الحديث والنصوص التي تشعر بأن الجنة ثمن للعمل، كقوله تعالى: {فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}

---

(1) تقدم تخريجه(ص١١).

(2)تقدم تخريجه(ص١١).

(3)تقدم تخريجه(ص١١).

(4) انظر: مجموع الفتاوى (٥١٧/٨ ، ٥٤٠).

(5) رواه البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦).

[السجدة: ١٧]، وقوله: {تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ} [الأعراف: ٤٣]. فالآيات تدل على أن الأعمال سبب لدخول الجنة، وليست ثمناً لها. والحديث نفى أن تكون الأعمال ثمناً للجنة(١).

يقول شارح الطحاوية ابن أبي العز(ت٧٩٢) في هذه المسالة: "وأما ترتب الجزاء على الأعمال، فقد ضل فيه الجبرية والقدرية، وهدى الله أهل السنة، وله الحمد والمنة، فإن الباء التي في النفي غير الباء التي في الإثبات. فالمنفي في قوله – صلى الله عليه وسلم –: ((لن يدخل أحد منكم عمله الجنة)) – باء العوض، وهو أن يكون العمل كالثمن لدخول الرجل إلى الجنة، كما زعمت المعتزلة أن العامل مستحق دخول الجنة على ربه بعمله، بل ذلك برحمه الله وفضله. والباء التي في قوله: {جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: ١٧] وغيرها باء السبب، أي بسبب عملكم، والله تعالى هو خلق الأسباب والمسببات، فرجع الكل إلى محض فضل الله ورحمته"(٢).

وقد دلت جملة من الأحاديث الحاثة على صلة الرحم على هذه المسألة، من ذلك حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عمل يدخله الجنة ويباعده من النار فقال صلى الله عليه وسلم : ((تعبد الله لا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم))(٣). وعن عبدالله بن سلام رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:((يا أيها الناس أفشوا السلام،وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام؛ تدخلوا الجنة بسلام))(٤).

المبحث الثالث عشر: تقسيم الذنوب إلى صغائر وكبائر.

ذهب جمهور أهل السنة إلى أن المعاصي والذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر، بل حكى الإمام ابن القيم الإجماع على ذلك حيث قال: "والذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر بنص القرآن والسنة وإجماع السلف وبالاعتبار"(٥).

واستدلوا لذلك بعدة أدلة منها:

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية. طبعة الرسالة، (٦٤٣/٢)، الجنة والنار لعمر بن سليمان الأشقر (ص٢١٨).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية. طبعة الرسالة (٦٤٣/٢).

(٣) رواه البخاري (١٣٩٦) ومسلم (١٣).

(٤) رواه الترمذي (٢٤٨٥) وابن ماجة (٣٢٥١). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٦٩) .

(٥) مدارج السالكين (٣٤٢/١).

قوله تعالى: {إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا} [النساء: ٣١].

قال القرطبي(٦٧١هـ): "لما نهى تعالى في هذه السورة عن آثام هي كبائر وعد على اجتنابها التخفيف من الصغائر، دل هذا على أن في الذنوب كبائر وصغائر وعلى هذا جماعة أهل التأويل وجماعة الفقهاء"(١).

وقال الشوكاني(ت١٢٥٠هـ): "أي إن تجتنبوا كبائر الذنوب التي نهاكم الله عنها نكفر عنكم سيئاتكم أي ذنوبكم التي هي صغائر، وحمل السيئات على الصغائر هنا متعين لذكر الكبائر قبلها وجعل اجتنابها شرطاً لتكفير السيئات"(٢).

وقوله عز وجل: {الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ}[النجم: ٣٢].

وهذه الآية صريحة الدلالة في تقسيم الذنوب إلى كبائر وصغائر على خلاف بين العلماء في المقصود باللمم. فقد اختلف السلف في معنى (اللمم) على قولين مشهورين، قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "فأما اللمم فقد روي عن جماعة من السلف: أنه الإلمام بالذنب مرة، ثم لا يعود إليه، وإن كان كبيراً. قال البغوي: هذا قول أبي هريرة ومجاهد والحسن ورواية عطاء عن ابن عباس. والجمهور على أن اللمم مادون الكبائر، وهو أصح الروايتين عن ابن عباس... والصحيح: قول الجمهور: أن اللمم صغائر الذنوب، كالنظرة، والغمزة، والقبلة، ونحو ذلك. هذا قول جمهور الصحابة ومن بعدهم، وهو قول أبي هريرة وعبد الله بن مسعود، وابن عباس ومسروق والشعبي"(٣).

وقوله صلى الله عليه وسلم: ((الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر)) (٤).

قال النووي: "وتنقسم –أي المعاصي– باعتبار ذلك إلى ما تكفره الصلوات الخمس أو صوم رمضان أو الحج أو العمرة أو الوضوء أو صوم عرفة أو صوم عاشوراء أو فعل الحسنة أو غير ذلك مما جاءت به الأحاديث الصحيحة، وإلى ما لا يكفره ذلك كما

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٥٨/٥).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٤٥٧/١، ٤٥٨).

(٣) مدارج السالكين (٣٤٣/١-٣٤٥)،

(٤) رواه مسلم (٢٣٣). من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ثبت في الصحيح ما لم يغش كبيرة فسمى الشرع ما تكفره الصلاة ونحوها صغائر ومالا تكفره كبائر "[1].

ومن الأدلة على انقسام الذنوب إلى كبائر وصغائر الأحاديث الكثيرة في ذكر الكبائر ومنها حديث أنس رضي الله عنه قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبائر أو سئل عن الكبائر فقال: ((الشرك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين))[2]. "فخص الكبائر ببعض الذنوب، ولو كانت الذنوب كلها كبائر لم يسغ ذلك"[3].

والصغائر والكبائر نفسها متفاوتة، ليست على حد سواء، بل بعضها أكبر من بعض حتى تنتهي الذنوب إلى أكبر الكبائر، وهو الشرك، ومن الأدلة على هذا: حديث أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ (ثلاثا): الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وشهادة الزور، وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – متكئا فجلس، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت))[4].

وعن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((أكبر الكبائر: الإشراك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وقول الزور، – أو قال: وشهادة الزور –))[5].

---

(1) شرح صحيح مسلم للنووي (٨٥/٢).

(2) رواه البخاري (٥٩٧٧)، ومسلم (٨٨).

(3) الزواجر عن اقتراف الكبائر (ص٥).

(4) رواه البخاري (٢٦٥٤)، ومسلم (٨٧).

(5) رواه البخاري (٦٨٧١).

الخاتمة

الحمد لله الذي أكمل الدين، وأتم النعمة، والصلاة والسلام على خير الأنـــام، وصـــحبه الكرام، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين،،،

وبعد: فهذه جملة من المسائل العقدية مأخوذة من نصوص القرآن وصحيح السنة النبوية التي تحدثت عن صلة الرحم، اقتصرت فيها على ما نطقت به تلك النــصوص وكانــت بينة الدلالة ظاهرة المعنى.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألّا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك،

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

ومن اتبع سنته إلى يوم الدين.